صاروخ أرض- أرض

من منّا لم يتمنَ، عندما كان طالبًا، أن تُهدم المدرسة أو أن يتم قذفها بصاروخ أرض أرض؟ طبعًا أُمنياتنا، التي لم تتحقق، كانت موجّهة إلى أيام العُطلة الأسبوعيّة حتى لا يُصاب أحدٌ، لا سمح الله.

كم كرهنا المدرسة آنذاك. ثم كبرنا وتعلّمنا وأصبحنا معلّمين. وهُنا أيضًا كرهنا المدرسة وتمنينا أن تُهدم المدرسة مرةً أُخرى، وأيضًا في نهاية الأسبوع حتى لا يُصاب أحدٌ، لا سمح الله. فنحن في نهاية الأمر تربويين ولا نرغب بوقوع ضرر لأحد

لا شك أنّ أولادنا يكرهون المدرسة، ولا شك أيضًا أنّ معلّمينا يكرهون المدرسة. قد يختلف معي البعض منكم، ولكن أنا اتحدث بصورة عامة. ومن خلال سنوات طويلة من العمل في سلك التعليم في المدارس ومع الطلّاب.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هُنا: لماذا كل هذه الكراهية لمؤسسة التي من المفروض أن تكون منارةً للعلم وعنوانًا للإبداع والتّطوّر والتّسامح وكل القيم والأخلاقيات التي في مجتمعنا؟

كل مدارسنا، بدون استثناء هي مدارس تحصيليّة، بمعنى أنها تضع التحصيل العلمي في المرتبة الأولى. طبعًا هذا الأمر ليس ذنب مديري المدارس أو المعلّمين. هذا الأمر له عدة أسباب وعوامل، أولها الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي نعيشها في البلاد كأقليّة تحتّم علينا أن نمتاز ونتميّز في تعليمنا لكي نحصل على

مناصب عُليا تنقذنا من الفقر أولًا، وترفع مستوانا الاجتماعي ثانيًا، وتعزّز مكانتنا في المجتمع. وما يعزّز هذا الأمر الأهل في المرتبة الأولى الذين يدفعون أولادهم إلى التميّز وإلى التحصيل العلمي ويشكّلون ضغطًا على أولادهم وعلى معلّميهم ومدارسهم. من أكبر الاشارات لهذا الضغط الحفلات التي تُقام للأبناء الناجحين في الامتحانات أو حتى غير الناجحين منعًا من الاحراج والشماتة من الجيران والأقارب.

ضغط آخر على المدارس يتم من قبل المسؤولين، حيث تتم عمليّة تقييم المدارس ومديري المدارس حسب انجازات طلّابهم في التوجيهي أو البجروت، ضاربين بعرض الحائط كل المعايير الأخرى، من بناء الشخصيّة والقيّم والمواطنة الصالحة وبناء الانسان، فالمدارس هي مصنع للعلامات لا غير.

هذه الأمور تضغط المعلّمين الذين بدورهم يضغطون الطلّاب حيث يجدون أنفسهم بين مطرقة الأهل وسندان المعلّمين ممّا يجعلهم يكرهون المدرسة ويحاولون التخلص منها بشتّى الطّرق والوسائل ويظهر ذلك في مظاهر العنف تجاه طلّاب آخرين وتجاه المعلّمين وفي كثير من الأحيان يعبّرون عن ذلك بعمليّات التخريب، والتكسير بالممتلكات، والكراسي والطاولات. أمّا المعلّمون فتزداد كراهيّتهم للمدرسة وقوانينها والطّلاب وأهلهم، فيكثر غيابهم عن الدّوام وتنتشر ظاهرة اللّامبالاة لديهم.

معظم مواضيع التعليم هي من المواضيع الاعتياديّة الكلاسيكيّة من لغة عربيّة وانجليزيّة ورياضيّات وغيرها من المواضيع التي لا علاقة لها بصورة مباشرة مع شخصيّة وأهواء الطالب. هذه المواضيع غالبًا ما تُصيب الطّالب بالملل والضجر

خلال الحصص ممّا يدفعه إلى الانشغال بالأمور الجانبيّة، وبالتالي دراسة هذه المواد للامتحان فقط. هذا الملل والضّجر يُعطي شرعيّة لعمليّة الغُش في الامتحانات والأبحاث، وفي بعض الأحيان تقوم بعض العناصر في المدرسة بالمساعدة ودعم عمليّة الغُش بِدءًا بالعلاقات المدرسيّة وانتهاءً بمساعدة الطّلاب وقت الامتحان و"تغشيشهم". وهُنا تختفي الكثير من القيم والسّلوكيات، فأي معلّم سيتجرأ بالحديث عن الصّدق والأمانة والأخلاق والاعتماد على النّفس وعلى "من غشَّنا فليس منّا" وغيرها من القيم التي طالما نادينا وتغنينا بها.

لطالما ادّعيت أنَّ المشكلة الأساسيّة في التعليم تعود على طواقم المعلّمين. أنا لست هنا بصدد لوم المعلّمين أو اتهامهم، ولكن لا نُنكر أنّ الكثير من المعلّمين لا يحبّون مهنة التعليم وأنهم توجهوا إليها لأنها المهنة الوحيدة تقريبًا المتوفرة أمام الخريجين العرب. ها نحن نرى معلمًا جديدًا لم يمضِ على تعيينه ثلاث سنوات، نرى أنه قد تآكل وأصبح غير مبالٍ لما يدور حوله من أمور. من هُنا تبدأ عمليّة من عدم الثّقة بين الأهل والمدرسة بمديرها ومعلّميها. هذه الأمور تظهر بصورة جليّة بغياب المعلّمين حيث قلّ ما تجد مدرسة بدون 5-8 معلمين غائبين يوميًا وبدون سبب يُذكر.

إنّ قضيّة الثقة بين الأهل والمعلّمين هي قضيّة مهمّة جدًا لإنجاح العمليّة التربويّة التعليميّة.

أنا لدي نظريّة راسخة بهذا الموضوع وهي: " إذا أحبك الطالب كمعلم فإنّ هذه المحبّة تنتقل للأهل، وإذا كرهك الطالب فإنه ينقُل كراهيته وعدم احترامه للمعلّم، إلى أهله ".

ماذا يفكّر الأهل عن المعلّمين؟ كيف ينظرون إليهم؟ ما هي صورة المدرسة بنظر الأهل؟

الكثير من الأهل يعتقدون أنّ المعلّمين لا يستحقون الرّاتب الذي يتقاضونه لأنهم لا يشتغلون ولا يبذلون جُهدًا في تعليم أبناءهم، فهم لا يقومون بواجباتهم تجاه المدرسة وتجاه طلّابهم. فالمعلّمون يتقاضون رواتب عالية بدون مبرر. وبالرّغم من ذلك يتغيّبون كثيرًا وبدون سبب وأنه لا ضمير لديهم. بالإضافة إلى ذلك فإنّ المعلّمين يقضون وقتهم بالعطل والاجازات والأعياد معظم أيام السنة. وإذا لم تكُن هناك عطلة فهناك اضراب، طلبًا لزيادة الأجور، فالمعلّمون عبارة عن مصاصي دماء وما يهمّهم هو زيادة الرواتب، وأنّ مصلحة الطالب هي آخر اهتماماتهم. وهكذا فهُم لا يشكّلون قدوة للطلّاب ولا يقوموا بدورهم في تربية الأبناء. لأنّ معظم المعلّمين قد تم تعيينهم بالواسطة لأنهم مقرّبون من المسؤولين لذلك فلا أحد يحاسبهم أو يقوم بطردهم.

لن أُطيل غليكم الحديث فالصّورة واضحة لكم، دعوني اختتم حديثي بطرفة متحدّيًا صديقتي "سماح" التي قالت لي أنني لن أنجح في إيجاد طرفة لهذا الموضوع:

قال غُلام للصّبيان: هل لكم أن يفلتنا الشّيخ اليوم؟

قالوا: نعم.

قالوا: تعالوا لنشهد عليه أنه مريض.

فجاء واحد منهم فقال: أراك ضعيفًا جدًا، وأظنّك ستُصاب بالحمّى، فلو مضيت إلى منزلك واسترحت؟

فقال لأحدهم: يا فلان، رفيقك فلان يزعم أني مريض.

فقال: صدق والله. وهل يخفى هذا على أحد؟ اسأل جميع الغِلمان يخبروك. فسألهم، فشهدوا.

فقال لهم: انصرفوا اليوم وتعالوا غدًا.

أرجو لكم كل الخير.

أ.أيمن جبارة